# المقامة الفكرية السنيه في المملكة الباطنيه

تعريب

الاديب الاريب والالوذعي اللبيب

حضرة عبد الله فكرى بك

وكيل ديوان المكاتب الاهلية المصريه

(الطبعة الثانية)

(بمطبعة المدارس الملكية افتتاح سنة ١٢٩٠ هجرية)

# المقامة الفكرية السنيه في المملكة الباطنيه

تعريب

الاديب الاريب واللوذعي اللبيب

حضرة عبد الله فكري بك

وكيل ديوان المكاتب الاهلية المصريه

(الطبعة الثانية)

(بمطبعة المدارس الملكية افتتاح سنة ١٢٩٠ هجرية)

*( بسم الله الرحمن الرحيم )*

يامن له الملك والملكوت يارب الكبرياء والجبروت يامن هو الاول والآخر واليه المصير يامن هو الباطن والظاهر وهو على كل شيء قدير نحمدك اللهم تبركا بذكرك ونسألك الاعانة على حسن شكرك ونستوهبك من صلات الصلاة اسماها ومن تسنيم التسليم والتحيات أسناها لحضرة نبي الخير والكرامه الهادي الى صراط الاستقامه وسبيل السلامه وآله وصحبه أولي البصيره المعروفين بحسن السيرة والسريره

(وبعد) فيقول راجي احسان ربه المليح عبد الله فكري بن محمد بليغ قد كنت عثرت في بعض اسفاري سابقا الى القسطنطينية دار الخلافة السنية بكتاب لطيف الاسلوب باللغة التركية يعرف بالمملكة الباطنية واصله من بعض الالسن الاجنبية فنقلته الى اللغة الشريفة العربية بصورة مقامة ادبية وضممت اليه بعض زيادات اظنها لاتخرج عن المطلوب وتصرفت في عباراته مع المحافظة على اصل الاسلوب وبالله الحول والطول وهذا أوان الشروع في القول

* * *

حدثنا أبو المعالي بن ذاكر عن الخيال بن خاطر قال قصدت اتفكر في عجائب الزمان وغرائب عالم الامكان ومافي صنع الرحمن من بديع الاحسان ثم ما للانسان مع فصاحة اللسان من المزايا الحسان وما منحه الله من تمييز وما أتاه سبحانه من عقل غريز وبصيرة تقوده الى هداه وترده عن مهاوي هواه ثم اخذت أتأمل ماقيل في هذه البصيرة تأمل الناقد فذكرت ماقيل من انها في جميع افراد العالم بقدر واحد وماقيل من انها تختلف في الانسان باختلاف الحال والشان والزمان والمكان

والمكان ثم رجعت هذا القول على الاول وجعلت عليه المعوّل فكم بين الجاهل والعالم والمفرط والحازم والشيخ الكبير والصبى الصغير والناشئ فى الامصار والذى فى الجبال والقفار والمعاشر للعلماء والاتقياء والملازم للجهلاء والاشقياء فانا نرى بينهم بونا كبيرا ونجد بين بصائرهم تفاوتا كثيرا الا أن كل واحد منهم فيه أصل البصيرة تحثه على الخير وتكفه عن الضير وتصعده الى معارج الهدى وتبعده عن مدارج الردى وانما تناقضها الشهوات والاغراض وتعارضها فى بعض أمرها الامراض والاعراض فتمانعها عن أعمالها وتعكس عليها بعض آمالها ولكنها مع ذلك لا تألو الجهد فى مناصحة العقل وكفه عن السلوك فى مسالك الغواية والجهل والكشف له عن حقائق الخير والشر والعرف والنكر والنفع والضر والحق والباطل والحلى والعاطل وحثه على التمسك بأذيال العدل والاعتدال ومجانبة الافراط والتفريط فى جميع الاحوال اذ لا يمكن الوصول الى السعادة الابدية والراحة السرمدية الا بهذا الاعتدال فى جميع الاقوال والافعال فالعقل فى المملكة الانسانية كالملك الكبير والبصيرة له بمنزلة الوزير الناصح المشير والهوى كالجليس الخائن والصاحب المائن المداهن فيستمد العقل برأى البصيرة فى الامور فترشده الى الخيرات وتردّه عن الشرور الا اذا غلب الهوى على العقل باعانة الشهوات والجهل فانه يحسن له القبائح ويدعوه الى ارتكاب الفضائح واهمال ما تبديه البصيرة من النصائح فتحذره البصيرة سوء العواقب وتبين له ما فى ذلك من المعايب والمعاطب ويحسن الهوى ما يدعو اليه ويحث الانسان عليه فيغطى على ما فيه من الآفات بما يكسوه من رداء الشهوات وغشاء اللذات فهو يموّه بالشهوة الحاضرة واللذة العاجلة والبصيرة تحذر من المضرة القابلة والتهلكة الآجلة فاذا حسن الهوى مثلا معارضة أحد فى أمواله أو التعرض له بما يشين فى شئ من أحواله بينت البصيرة ما فى ذلك من العار والشنار وما يترتب عليه من الاخطار وسوء الذكرى مدى الاعصار فيموه الهوى بما فى ذلك من لذة تقتنى وثمرة شهوة تجتنى فتعارضه البصيرة بأن ذلك المظلوم ربما انتصر وان لم يعنه أحد فربما أعانه القدر وتضرب له المثل بعواقب الغادرين ومعاطب الماكرين وسوء أحوال الظالمين وما أصابهم فى العالمين فيقول الهوى لله در الذى يقول

إذا همّ ألقى بين عينيه عزمه * ونكّب عن ذكر العواقب جانبا

فتقول البصيرة أحسن منه الذي يقول

واذا هممت بأمر وردقا لتمس * من قبل مورده طريق المصدر

والذي يقول

ولذة ساعة مرت فولت * وأبقت بعدها حسرات دهر

وهكذا حتى يغلب أحد الجانبين ويترجح واحد من المذهبين فمن غلبت بصيرته على هواه فاز بالمنى والسلامه ومن غلب هواه على بصيرته وقع في الغي والندامه كحال من يغلب على نصح النصوح المأمون غش الرفيق المنافق الخؤن ويستبدل قول الخبير العاقل بقول الغرير الجاهل ومهما حصل لأحد البشر من شر وضرر او خطأ وخطر فانما سببه اهمال رأى البصيره في كبيرة من الامور أو صغيره وكم من صغيرة صارت كبيره ورب شرارة صارت نارا وكلمة جرّت دمارا وخربت ديارا وكم كبير أصله يسير وكل كبير أوله صغير قال الراجز

قد يلحق الصغير بالجليل * وانما القرم من الافيل

وسحق النخل من الفسيل

وقال يزيد بن الحكم

فاعلم بني فانه * بالعلم ينتفع العليم

ان الامور دقيقها * مما يهيج له العظيم

وقال عنترة

قد يبعث الامر الكبير صغيره * حتى تظل له الدماء تصبب

ولا يكاد يخلو أحد من الناس حاشا من عصمه الله بتقواه من العدول ولو في بعض الامر عن موافقة العقل الى مرافقة هواه فمن مائل للتفريط والقصور ومن قائل بالافراط في جميع الامور والسعيد الموفق من يراعى الاعتدال في كل حال ومكان وان لم يقدر عليه في جميع الامور فعلى قدر الامكان والعجب ان كل واحد وان ضلت أعماله وخابت آماله وساءت حاله ومآله انما يبغي سعادة الحال وراحة السر والبال ولهذا الغرض يسعى ويجدّ ويجتهد في تحصيله ويكدّ وعنده من العقل حاكم عادل ومن البصيرة ناصح عاقل وبهما يمكن له أن يتوصل لما أراد ويحصل على خيري المعاش والمعاد ثم تراه يبطل رأيهما ويعطل سعيهما ويرد ما يهديانه اليه من الرأى القويم ويصدّ عما يهديانه اليه من الصراط المستقيم فيفوت ما أراده من السعاده

ومع

ومع ذلك لا يقلع عن هذه العاده وهذا لعمر الله عجب عجاب طالما كنت اسأل عن سره فلا أجاب فجلست أجيل قداح الانظار واقدح فيه زناد الافكار وأحاول ان أقف على السر واكشف الغطاء عن حقيقة الامر واعرف كيف يترك الانسان ماينفع عما يضر ويشترى باختياره مايحزن بما يسر ويخالف هذا الناصح الشفيق باهمال أمره بعد أن جرب شؤم ذلك فى الكثير من عمره فمازلت أتفكر ويذهب التفكر جفاء وماتزداد المسألة الاخفاء ولا الشاردة الاجفا حتى لاح لى شكل روحانى وشخص نورانى لم أشك فى انه ملك ربانى يعرف بنور البصيره ويتصل بأصل السريره قد تجلى لى عيانا وشافهنى بيانا وقال خفف عليك هذا الحال فلا سبيل الى حل هذا الاشكال الا بسياحة بمملكة الباطن ومعرفة مافى تلك المواطن فانهض الى هذه السياحة لتبلغ ماتريد ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فقلت أيها الملك السعيد من لى بهذا المرمى البعيد فقال ويكأن الله يفعل مايريد ومسح وجهى بيده الكريمة وهو يقول فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فغشيتنى حال أذهلتنى عن الوجود وشغلتنى عن كل موجود واذا بالانوار ظهرت ومملكة الباطن سفرت فبسملت وحمدلت وتقدمت فدخلت فاذا بمملكة واسعه واقطار شاسعه وخلائق مجتمعه وطرائق متسعه ومراحل ومنازل ومصانع ومعامل واذا أهل هذا الملك الكبير فى عدد كثير وجمع غزير وكلهم دائب فى خدمته دائم على همته لاتفتر عزمته ولا يفتر عما يلزمه وهم مع ذلك محترزون عن التعب والالم والمرض والسقم والهم والغم مائلون الى اللذات الانسيه والشهوات النفسيه لايبتغون عن ذلك عوضا ولا يبغون سواه غرضا وفى هذه المملكة الجسميه كثير من المبانى العظيمه والديار اللطيفه والآثار الظريفه مما يروق الناظر ويعجب الخاطر وفيها أنهار دافقه وجداول رائقه ومجارى مياه متناسقه قد انقسمت فى انحائها لترتوى منها جميع أجزائها وهى مع كثرة تفرقها تتصل ببعضها وتدور على جميع اجزاء الجهة فى سمائها وارضها وطولها وعرضها بدورة عجيبه وصورة غريبه لاتكاد تقف عليها الافكار كما انها تحتجب دونها الابصار وهواء هذه المملكة فى الغالب معتدل ملائم الا ان هذا الامر ليس له بدائم بل هو كثير التبدل دائم التحول وكثيرا مايحدث فيها من العواصف والرياح القواصف مايعجز عنه وصف الواصف حتى يكاد يخرب المملكه ويدمر

على جميع أهلها التهلكه ورأيت أهلها أيضا متبدلي الاوضاع متلوني الاخلاق والطباع

فما تدوم على حال تكون بها * كما تلون في أثوابها الغول

فتثور بينهم الشرور في كثير من الامور لكثرة ما يقع من المعارضة والجدال والمناقضة لما بينهم من مباينة الاهواء ومخالفة الآراء وقد تعرض لهم الافكار المناسبة والآراء الصائبة فتخالفها اللذات والشهوات والاغراض والحاجات فالمروءة واللطف والمرحمه قد يعارضها حب الجاه والحرص على نفوذ الكلمه وكذلك الحلم والتدبر يعارضه الغضب والتهور وهكذا يخالف كل منهم قرناءه ويريد أن يروج آراءه ويحب أن يغتصب زمام الرياسة وأن ينفرد بالتدبير والسياسة فيشتد بينهم النزاع والجدال ويكثر القيل والقال ويزيد الاختلال الى أن يجمعوا على شيء يقررونه وعند ذلك يحررونه وكان كل ما يدور بينهم من الكلام ويجري عندهم من الاحكام يختص بسياسة مملكتهم وادارة حركتهم ورأيت عندهم خمسة من الامراء واكابر الوزراء في مثابة السفراء يختص بهم معاملة الممالك الخارجية والمواصلة بينهم وبين الجهات الاجنبية يعرفون في هذه المملكة الزاهرة بالحواس الخمس الظاهرة واعجب ما رأيت عندهم من سوء الحال ودواعي النكال وهو من أعظم الاسباب الداعية لوقوع الفتن والاختلال ان هؤلاء الوزراء يستشيرون في بعض الامر جماعة تسمى بالاغراض النفسية من أهل الفساد وطائفة أيضا تسمى بالخصال الذميمة من أهل الشر والعناد والبغي والاستبداد والزيغ عن طريق السداد وكلاهما مصر على رأيه مصمم على غيه وبغيه فيشيرون بما يخالف صوب الصواب ويعاب عند ذوي الالباب ويمزجون ما لهم من سقم الآراء بأقوال أولئك الخمسة الامراء وتسمع سائر رجال الدولة ما تلقيه هذه الحواس الخمس اليهم وهم يعتمدون في جميع الاقوال عليهم ويثقون بما لديهم

واذا كان في الانابيب خلف * وقع الطيش في صدور الصعاد

فيسري للجميع ما يسري من تلك الآراء السقيمه ويحدث عنها ما يحدث من الشرور والمصائب العظيمه الا ان حزب الاغراض بينهم تفاوت كبير ولهم اختلاف في الطباع والاوضاع كثير فمنهم الكريم الوقور والرحيم الصبور فهو يدعو الى الخير في جميع الامور ويصد عن الفساد والشرور ومنهم من هو ذميم السيرة خبيث السريره

السريرة مبغض للخير والبر محب للفساد والشر فيشير بما يضر البلاد والعباد واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد فلما رأيت هذه الاحوال الغريبة في هذه المملكة العجيبة راعني ما رأيت من أمرها ولم اهتد الى تحقيق سرها وظننت ان ادارة الحكم فيها بالجمهورية لا بالملك والاستقلال وزعمت ان ذلك سبب ما أراه فيها من الفتنة والاختلال كما يقع عادة في الممالك الجمهوريه من مثل هذه الاحوال بسبب ما يظهر فيها من الفرق المتعارضة وما يكون لهم في أحكامهم من الآراء المتناقضة فهذا ما ذهبت باديء بدء اليه وعولت في توجيه أحوال المملكة عليه ولكن لم يتيسر لي فهم ما رأيته بحقه ولم أعرف من بينهم أحدا أثق به وأعتمد على صدقه فبقيت متفكرا مضطربا متحيرا باهتا متغيرا متشوقا للمعرفة الحقيقة ولا أجد من يدلني على الطريقة واذا شخص عظيم كأنه ملك كريم هو رئيس طائفة سريه تسمى عندهم بالمقاصد الخيريه يسعى دائما في تسكين الفتن واخماد نار المحن واعادة الصلح والصلاح وتسنية أسباب النجاة والنجاح وتحصيل السعادة الابديه والراحة السرمديه فعلم ما صرت اليه من الغربه ورثى لما أنا عليه من الكربه فنظر الي وأقبل علي وقال أيها المسكين والبائس الحزين قد علمت من أطوارك انك رجل أريب وفهمت من عدم استقرارك انك في هذه المملكة غريب وانك متحير في امرك متردد في فكرك تريد أن تعرف الامر ولا ترى من يعرفك السر فرثيت لغربتك وأتيت لتفريج كربتك وسأعرفك هذه الاحوال خبرا وخبرا وأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا فقلت كأنك والله كوشفت بظاهر أمري وخافيه وقد نفست عني بقولك بعض ما كنت فيه فشكرا لك هذا الفضل العظيم وان شئت اتمام الاكرام فعرفني باسمك الكريم فقال اسمي الفراسه وقد منحني الله قوة الكياسه وأطلعني على خفايا السرائر فلا تخفى علي خبايا الضمائر

ولا علم لي بالغيب الا طليعة * من الحزم لا يخفى عليها الغيب

ويرحم الله ابن الرومي حيث يقول

وخيء الفؤاد يعلمه العما * قبل قبل السماع بالايماء
وظنون الذكي أنفذ في الحـ * ـق سهاما من رؤية الاغبياء

فظني والحمد لله هو النظر الصحيح ونظري ولا كفران لله هو الكشف الصريح

فقد صرت لا ألقى الذي استزيده * ولا يذكر الشيء الذي لست اعرفه

وقد جئت لاهديك باذن الله السبيل واكون لك في هذه المملكة من قبيل الدليل
واشرح لك ما خفي من كل أمر غامض فاجعله واضحا جليا يا أبت انه قد جاءني من العلم
ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا فقلت قد أسبغت النعمة وكشفت الغمة
فاخبرني أولا عن الدولة الحاكمة في هذه الامه فقال ليست كما تظن دولة جمهوريه
وانما هي سلطنة تحكم بالاستقلال والقائم بالحكم فيها ملك روحاني مرسل اليها من لدن
مالك الملك ذي الجلال فيقوم بتدبيرها وادارة أمورها ورعاية مصالحها
وملاحظة فاسدها وصالحها حتى تنتهي ايامه فتنقضي حينئذ أحكامه وقد قضت
حكمة الملك القاهر على ذلك الملك الكريم الطاهر ان يقيم في تخت هذه السلطنه
من لحظة واحدة الى مائة سنه وان زاد على ذلك فنادر والله على ما يشاء قادر فاذا
انتهى أمده المحدود ووافاه يومه الموعود خلع من هذه الرياسة والسياسة راغما وخرج
على الفور من هذا الملك الذي كان فيه حاكما ليرى في مآله جزاء أعماله يوم يقوم
الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا يوم ينظر المرء
ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا يوم هم بارزون لا يخفى على الله
منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم
سوء الدار فعند ذلك يحاسب هذا الامير على النقير والقطمير من كل ما عمل في هذه
الحكومة الصعبة والملك الخطير فقلت سبحان الله أعليه صعوبة في ادارة المملكه
مع ماله من عظيم الشرف وزيادة الملكه وشرف ارومته على اهل حكومته
وهل يجد في ادارة حكومته مانعا أو يرى من رعيته ممانعا لا سيما وقد علموا مزيد فضله
عليهم وارساله من قبل الحق سبحانه اليهم وانهم دونه بدرجات كبيره وهو ممتاز
عليهم بمزايا كثيره فهم بالضروره يسارعون لاجابة داعيه خصوصا وقد جربوا كثيرا
من حسن تدبيره وعن مساعيه فكيف يغفلون عن مآثره حتى يعرضوا عن أوامره
أو يتعرضوا لمعارضته ويجسروا على مناقضته كلا بل مثل هذا الملك العاقل
والحاكم الحكيم العادل تقابل أوامره بالقبول والاقبال ونواهيه بالطاعة والامتثال
فيسهل عليه سياسة ما تحت حكمه من الامم كما يسهل على الراعي سياسة الغنم فمن أين
تأتيه الصعوبة في اجراء الحكومة واصابة الغرض من افعال البرامج المرومة فقال
أنت في هذا الكلام معذور فانك لا تعلم حقائق هذه الامور

اذا ملكت قلب الفتى من اموره * ظواهرها استعصت عليه السرائر

فاعلم ايدك الله بأنواره وأرشدك الى معرفة أسراره ان هذا الحاكم المعروف باسم العقل والمعبر عنه بالنفس الناطقة في كلام أهل الفضل لما ولاه الله هذه الحكومة السنيه وأولاه هذه المملكة الكريمة الباطنيه جعله مشاركا لاهلها في العلائق الانسيه وجميع الاغراض الطبيعية والاشتياقات النفسيه لتتم سعادة حالهم براحة بالهم ويظهر ما له من قوة الملكه وكمال الحكمة والحنكه فساهمهم في الطبيعة الماديه وقاسمهم فيما لهم من الامور المعنويه فهو يتأثر بما يعرض لهم من الآفات ويتلذذ بما يرونه من المستلذات فمهما عرض في الحكومة أمر يتفاوض فيه اويراد اجراؤه رجع فيه الى أقوال الخمسه الحواس الذين هم وكلاؤه وسفراؤه وامراؤه وامناؤه واستشار فيه من اكابر دولته واعيان حضرته طائفتي الخصال الذميمة والاغراض النفسية وهم أيضا ندماؤه وقرناؤه فيشيرون عليه بما يشيرون ويدبرون له ما يدبرون ثم لا يبت أمرا خيرا كان أو شرا حتى يعرفه بنفسه ويدركه بحسه وحتى يحصل عليه اجماع الجمهور وعلى ذلك تدور رحى الامور فتعال اوصلك الى محل طريف لترى فيه هذا الملك الشريف وتدخل معي الى مجلسه الكبير وتسمع ما يكون من المفاوضة في التدبير وتعلم حال من يدخل دار سلطنته من وزير وأمير وصغير وكبير واعلم أن من أحوال هذه الدولة ومقتضى قوانينها المرعيه وعاداتها الشرعيه أن لا يحتجب الملك أبدا عن أحد من افراد الرعيه وذلك بلا تخصيص ومن غير استثناء فيدخل كل واحد منهم مجلسه العام في أي وقت شاء فلا يمنعهم أحد ولا يحصر الداخلين عدد ثم انه تقدم وأنشد

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما * قد حدثوك فما راء كمن سمعا

فزدت تحيرا بما سمعته ولكني سكت فسار وتبعته وقلت لعلي أرى ما يزيل حجاب الوهم ويفتح لي ان شاء الله باب الفهم فسرت في سبيلي والفراسة دليلي فعانيت في الطريق بعض تعب وشقا وعاينت بعض عقبات صعبة المرتقى ورأيت بعض موانع لم أكن اؤملها ولكن كان دليلي بقدر الطاقة يسهلها وصادفت بعض العوام الرعاع من سفلة الرعية والاتباع وقد علموا أني غريب في دورهم غير عالم بحقائق أمورهم فصاروا يشيرون الى بعض المسالك ويقولون ان حضرة سلطاننا هنالك يريدون أن يموهوا علي بذلك وصاروا يترامزون والي جهتي يتغامزون ويقول

بعضهم لبعض فى السر انظروا هذا الجاهل الغمر والاحمق الغر قد لقنوه أن ما كنا العقل يسمى الروح والنفس الناطقه وظن هذا الغريب المسكين بجهالته أنها قضية صادقه ولم يعلم بحمقه ان الروح أمر غير موجود فجاء أرضنا يبحث عن شئ ليس له فى الحقيقة وجود ومنهم من يقول قف عندنا فلا غاية بعدنا الى كثير من الرمز والايماء والطنز والاستهزاء واللوم والتقريع والطعن والتشنيع وكنت أسمع هذا الكلام واتجلد لوقع سهام الملام ولا أعدل عن السبيل ولا أقصر فى متابعة الدليل

قال لى حسن كل شئ تحلى * بى تملى فقلت قصدى وراكا

فلما سرت غير بعيد فى طلب هذا الملك السعيد رأيت بعض الظرفاء وظننته من العرفاء فتقدم الىّ وسلم علىّ وأشار الى محل سرى يعرف بالقلب الصنوبرى وقال اياك أن تتعداه ان كنت ممن يطلب هداه فنظرت فاذا جمع يفوق الحد ويفوت مراتب العد من خواص وعوام فى احتشاد وازدحام وخلق اليه يهرعون ولديه يجتمعون وعنه يصدرون ويعقبهم آخرون لا ينقطع الوارد والصادر ولا يعرف الاول ولا الآخر فقلت لا شك ان هذا مجلس الملة ومركز مصالح الدولة ولم أرد أن أتخطى ذلك المكان وقلت ان كان ولا بد فههنا السلطان فأشار الى الدليل ألا تقف فسترى ان شاء الله وتعرف فسمعت وأطعته وتقدم وتبعته وسرنا نطوى المنازل ونقطع المراحل من طريق الى طريق حتى وصلنا الى مضيق خرجنا منه الى قبة بديعه على ربوة رفيعه يتصل بها كل ما اشتملت عليه المملكة فى جميع أنحائها من مواردها وطرقاتها ومسالكها وجداول مائها وفى هذه القبة من الانوار اللامعة والاشعة الساطعة ما يعشى الابصار ويدهش النظار حتى لم يكد يتيسر لى تمييز من بها من الحضار لكثرة الانوار الا بامعان النظر واتعاب البصر فنظرت فى خلال لمعات الشعاع فاذا جماعات مختلفو الاوضاع متباينو الصور والهيئات والطباع ما بين صغير وكبير وطويل وقصير وقوى وضعيف وجسيم ونحيف وهم يعرفون بالاشتياقات واللذات والاغراض والاهواء ومع كل واحد مرآة كثيرة الاضلاع لماعة الشعاع ينعكس فيها ما فى القبة من الاضواء فيظهر كثير من الصور والاشكال والالوان البديعة المثال فكان بصرى يضعف عن مقاومة هذه الانوار وقلبى يتعجب من غرابة ما رأيت فى تلك الدار حتى انى لفرط ما هالنى من غرابة

غرابة الامر وانه لم يسبق لي به عادة في سالف العمر لم أمتر في أول الحال شكل العقل الحاكم في ذلك القطر بوجه اليقين وعلى صورة التعيين لكن رأيت كثرة ماله من الانوار فوق ما لغيره من الحضار وما يعلوه من الهيبة والوقار فأخذت بالظن والتخمين انه العقل المشهور وتأيد ما فهمته من ذلك باخبار دليلي المذكور ثم نظرت اليه فرأيت عنده امرأتين ظريفتين عفيفتين قد زانهما الحسن والجمال وعلاهما الادب والكمال وفي يد كل واحدة شعلة تسطع نارها وتكاد تعشي الابصار أنوارها وعندهما جاريه حسناء عاريه وفي يدها مرآة كثيرة البريق مستورة بغشاء رقيق فكانت تديرها الى ولا تزال تجلوها علي فسألت الدليل عنهن فقال احداهن الاستقامة والثانية العفة والثالثة السلامة والعقل يعتمد عليهن ويغشاهن ويركن اليهن ثم نظرت فاذا في الطرف الآخر شابة ذات جمال فاخر ودلال ظاهر وحسن زاهر ومنظر باهر وهي تسحر العقول بألفاظها وتسحر القلوب بألحاظها

اذا أبصرت قلبا خليا من الهوى * تقول له كن مغرما فيكون

وعلى رأسها تاج من الزهر كالكواكب لدى البدر ورأيتها تتكلم بفصاحة لسان وتتفنن في أساليب البيان فلما وقع بصري عليها لم أتمالك ان صبوت اليها وكدت أصير أسير جمالها ورهين حبالها وصريع نبالها فسألت دليلي عنها وقد تقوس ما أصابني منها فقال هذه تعرف في المملكة الانسانيه بالشهوة الحيوانيه وهي مع ما لها من الجمال عاريه عن خلال الكمال مجبولة على المكر والخيانة والغدر وكم وراء هذا الحسن والزين من عار وشنار وشين

على وجه مي مسحة من ملاحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا

فالحذر الحذر من مكرها والفرار الفرار من شرها ونكرها ولا تنظر لما فوق رأسها من الازهار ولكن انظر لما تحت قدميها من الاخطار فرجعت البصر اليها ونظرت لما تحت رجليها فاذا مهلكة شنيعه ومهواة فظيعه تهول الناظر وتروع الخاطر يسمع منها أنين ورنين وبكاء وحنين وصياح مرتفع ونحيب لا ينقطع تتصدع لفظاعة مرآها ومسمعها الاكباد وتكاد تتزعزع لشدة هولها الاطواد فامتلأت فزعا وكاد ينخلع قلبي هلعا وجزعا وادركني لمن وقع في هذه الورطة البعيدة الشقة من الرحمة والشفقة والرأفة والرقة ما يقل دونه البيان ويكل في وصفه

اللسان فقلت انا لله ولا حول ولا قوة الا بالله كل هؤلاء أوقعتهم الشهوة فى هذه الغائلة ورمتهم بكيدها فى هذه الورطة الهائلة فنعوذ بك اللهم من الندامه ونسألك حسن السلامه والعفة والاستقامه ثم انى عذت بالله من شرها وصرفت نظرى عن تلك الجهة بأسرها ودققت النظر فى جهة ذلك الملك العادل لعلى أنسى ما رأيت من ذلك المنظر الهائل فاذا عند تخت سلطنته عن ميسرته وميمنته أمور عجيبة وأشياء غريبة تستوقف الطرف وتستدعى الوصف وبينها شخص مهيب المنظر عجيب الخبر والمخبر حديد المزاج بعيد العلاج قوى شديد عنيد مريد قليل التفكر والتدبر كثير التهور والتكبر وهو يلحظ الحاضرين شزرا ويوسعهم فحشا وهجرا ويكثر لمن يكلمه نهرا وزجرا وهو أرعن أحمق أهوج أخرق لا يمس شيئا الا مزقه ولا يعالج أمرا الا أتلفه وخرقه فقلت للدليل ما هذا الشخص العجب فقال هذا هو الغضب ثم رأيت فى طرف آخر شخصا نحيل البدن طويل الحزن أصفر اللون أحمر العين أضناه الهم وأفناه السقم والغم وباحدى يديه قدح فيه سم ناقع وفى اليد الاخرى منه سيف قاطع وهو لا ينفك يسكب السم على بدنه ورأسه ويجرح بذلك السيف الباتر أعضاء نفسه فقلت من هذا الشخص البادى الكمد البالى الجسد فقال هذا هو الحسد ثم رأيت شخصا رفيع المكان بديع البيان قوى الجنان فى يده آلات لطيفه وأدوات ظريفه وأسلحة لامعه بديعة الصناعه فأعجبنى حسنها وراقنى لونها ولكنى دققت النظر فرأيتها تقطر نجيعا وتصبب سما نقيعا فقلت أعوذ بالله من هذا الذى أراه فقال هذا حب الجاه ثم نظرت فاذا شخص سئ الحال كاسف البال ظاهر البلبال رث الملبس قبيح المنظر والملمس فى حالة يضحك منها المقهور ويستخف لها الوقور

وسخ الثوب والعمامة والبر * ذون والوجه والقفا والغلام

قد اعترته الامراض وغيرته الاغراض وأنحلته الهموم وأبلته الغموم وهو جالس على كرسى منصوب فوق رابية من ذهب مضروب وهو خائف من نفاده مجتهد فى ازدياده وخلفه صبية يلعبون ويغنون ويطربون ويضربون بالدفوف ويصفقون بالكفوف رأيتهم يسارقونه النظر ويفرقون ماله شذر مذر فقلت من هذا الاثيم القبح قال هذا هو الشح ورأيت عند العقل امرأة عاقله كاملة فاضله كاتبه حاسبه تكتب كل ما رأته أو سمعته وتحفظ كل ما استودعته فى أقرب من وحى الكف

واسرع من لمح الطرف لا تذر جليلة ولا حقيره ولا تغادر صغيرة ولا كبيره وعندها شخص أبله يستغفلها ويسرق بعض ماسطرته وشيخ هرم يتلف كل ما يبقى بعد ذلك عما حررته فعرفت ان الكاتبة هى القوة الحافظة فى الانسان وذلك الابله هو النسيان وذاك الشيخ الهرم هو الزمان ثم رأيت الكرم فى قبالة البخل وهو بمكانة من الشرف والفضل مرتفع القدر منشرح الصدر طاهر النفس ظاهر الانس يجود من الموجود ولا يتكلف المفقود ولا يسرف فى الجود ورأيت الكبر ثانى عطفه شامخا بين أقرانه بأنفه يأنف من أبناء جنسه وينفر من أسباب أنسه ويجر رداء التعالى ويخطر فى رداء التغالى وينظر الى كل أحد نظر المبغض المقالى وأمامه الدناءة قد لزمت صف النعال ورضيت بكل مازان وشان من جميع الافعال ورفضت الانف ظهريا وجعلت الشرف شيئا فريا فهى مع الكبر فى طرفى نقيض هو فى الاوج وهى فى الحضيض وهكذا كل شئ كنت أرى أمامه ضده وأشاهد ما يشاكله ويناسبه عنده

فقلت تعجبوا من صنع ربى * شبيه الشئ منجذب اليه

ورأيت بين الجميع العدل وهو أجل وزراء العقل كان فى وسط الجميع جالسا فى مكان رفيع وهو يصلح بينهم فى جميع الاحوال ويدعوهم الى التوسط والاعتدال فى جميع الاقوال والافعال فهو ينهى عن الاسراف والتبذير كما ينهى عن البخل والتقتير وينفر من الدناءة والاستكانة والذلة والمهانة كما يحذر من التكبر والانفة والتجبر وهكذا كان دأبه فى جميع الامور يقبح الغلو والافراط كما يقبح التقصير والقصور وفى يده ميزان تخرج الشعره وتبين الذره وهى ميزان العدالة والسداد يرد بها ما نقص مثل ما يرد ما زاد ثم رأيت امرأة مخدره معظمة موقره يلوح عليها الجمال وتحيط بها أبهة الكمال ويبدو عليها اللطف والكرم ومحاسن الشيم وعلو الهمم ورأيت كل أحد يعظمها ويحبها ويكرمها الا جماعة من الاسافل والاوباش الاراذل كانوا لا يوقرونها بل رأيتهم يحقرونها ولكنها كانت لا تحفل بما يبديه أهل الفساد والشقاق كما انها لم تكن تنخدع بتملق أهل النفاق بل كانت تنظر فيما يعرض من الدعاوى والشكاوى بالعدل والحلم وتفصل فيها الحكم بالفطنة والذكاء والفضل والعلم ورأيت على رأسها اكليلا من الزهر لا يذبل مدى الدهر فلا يزال يروق خضره ويتلألأ بهجة ونضرة ويجلب للعين قرة وللخاطر مسره

وخلفها شخص مهيب الصورة صعب المراس يرفل في سواد اللباس كأنه من بقايا
بني العباس وفي يده سوط مجدول يروع منظره القلب ويهول ورأيت العقل
يخاطب كل من حضر في ديوانه ويستشير هذه المرأة الفاضلة في جميع شانه فعسر على
معرفة أمرها وسألت الدليل عن خبرها فقال هي البصيرة المعروفة بحسن آرائها
وهي من نبهاء هذه الدولة ونبلائها وأعظم أمرائها ووزرائها وسلطانها يوقرها
ويخشاها ويحذرها ويحرص على استجلاب قلبها وارضائها ويستنهض العامة
والخاصة لموافقة آرائها فتدور الامور على السداد وتطمئن البلاد والعباد ويتم
المراد وقد يقع بينهما الشقاق وتنحل روابط الاتفاق فيظهر كل منهما المعانده
الخصومه فتختل عند ذلك أمور الحكومه ويتغلب في خلال ذلك الاختلال
طائفتا الاغراض النفسية والخصال المذمومة فيجدون فرصة لترويج ما يريدون
من الشر والفساد ويجدون في اقامة الحكومة الجمهورية المضرة بهذه البلاد
فيفسد حينئذ انتظام الاحوال ويعزلون حاكمنا العقل من ملكه الحاكم فيه
بالاستقلال فتشتد المصائب وينوب المملكة ما لا يحصى من النوائب ويتعدى
أراذل الناس وأسافلهم على أعاظمهم وأمرائهم وينتهبون كل ما ينتهون اليه من
أموالهم وأشيائهم ويصرفون جميع الواردات في السخف والسرف ويأتون بكل
ما يؤدي للتلف ويخل بالشرف من الظلم والغشم والنهب والغصب فتفتقر
الاغنياء ويضمحل الفقراء ويعم البلاء ويعظم الاضطراب وتشرف المملكة
على الخراب ويكاد يفضي هذا الحال والاختلال الى الوبال بالمرة والزوال لولا
ذلك الشخص المهيب القابض على ذلك السوط العجيب الواقف خلف البصيرة على
القدم المعروف في هذه المملكة الباطنية بالندم فهو الذي يتأتى له حسم الفساد
واعادة الصلح والصلاح بين العباد ويستخلص عنان السياسة من أيدي الاغراض
النفسية والخصال الذميمه ويسلمه لحاكمنا العقل من يده الكريمه ويعيده لحالته
القديمه وذلك بعد أن يؤدبه بذلك السوط الذي في يده من غير أن يراعي شرف
سلطانه وعلو مسنده فتعود الاحوال لما كان من جمالها وتدور أمور الملك على محور
كمالها فهذا حال الندم وصنعته وهذه مزيته في هذه الدولة ومنفعته ولكنه قد
يمنعه من أداء هذه الوظيفة في بعض الاحيان امرأة تسمى الالفة وهي الجالسة في ذلك
المكان فانظر نظر المتأمل اليها وتأمل أيضا هذه السلسلة التي في يديها فهي

في

فى النظر صغيرة حقيره وفى ميزان العقل ثقيلة خطيره فانظر لسيماها وسحنة محياها تجدها ليس عندها من الغرض أثر وليس لها الى شئ من الخير والشر فى نفسه نظر وانما تتعلق بمن يكثر تردده اليها وتتكرر رؤيته على عينها غير فارقة بين نافع وضار ولا بين فاجر وبار فهى كما قال أبو الطيب المتنبى

خلقت الوفا لو رحلت الى الصبا * لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

وهى وان كانت نحيفه فلا تظنها عاجزة ضعيفه فانها قد تخالف البصيرة فى آرائها وتغلب عليها فى بعض الامور بأهوائها وحينئذ تتعسر النجاة والنجاح وينسد على الدولة باب الصلاح والفلاح ثم قال اذا وعيت مادار بيننا من الاقوال فقد عرفت اجمال ما لهذه الخطة من الاحوال وقد رأيت بعض المواضع المهمه وأدركت عادات هذه الامه ورأيت معظم أعيانها وكبرائها وعلمت من يدخل مجالسها العالية من أمرائها فتعال بنا الآن نتقدم الى الامام لنسمع ما يدور فى المجلس العالى من الكلام ونطلع على ما يبرم به من الاحكام فانى أرى أربابه فى احتفال عظيم وأظنهم سيتفاوضون فى خطب جسيم فهلم لتسمع وترى وتعرف ما جرى ثم سار الى نحو تخت السلطنه المستوى عليه سلطان هذه الامكنه فسرت خلفه بين القائمين وجلست باشارته جهة اليمين وأنا أقول فى نفسى يا هل ترى ماذا أسمع بعد وماذا أرى فلما استقر بى المكان وجلست أتأمل بقدر الامكان اذا بأحد السفراء الخمسة حضر وعرفت بالفراسة أنه النظر فقام امام السلطان ما بين القوم وقال قد رأيت فى المملكة الفلانية كذا وكذا اليوم ثم قام من بعده السمع وقال بين أولئك الجمع أنا أيضا سمعت كيت وكيت وما كذبت فيما حكيت والله خير الشاهدين وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين فقال الملك أيها الملأ بم تشيرون وماذا ترون فى هذه الحادثة وبم تأمرون فقام حب الجاه من مقامه واستدعى الحاضرين لسماع كلامه وخطب خطبة مد فيها أطناب الاطناب وأشار على الملك بما زعم أنه الموافق لصوب الصواب وقال هذا هو الرأى الذى لا غبار عليه ولا ينبغى أن يشار الا له أو يسار الا اليه فان لنا فيه النصر ومزيد الجاه والفخر وسعادة الرعايا والشرف بين البرايا فقد أخلت تلك الدولة بجاهنا وعاملتنا بما لا ينبغى لاشباهنا وطلب من العقل أن يوافق على الرأى المذكور ثم قعد مع كمال الابهة والعظمة والغرور فقال العجب لقد أجاد فيما أفاد وأشار بالحق والسداد فهذا رأى مقبول

وأمره قول يرشدنا الى الخير ويبعدنا عن الضير فلا ينبغى التأخر عن هذا الرأى السديد ونحن أولو قوة وأولو بأس شديد

اذا أنت لم تعرف لنفسك حقها * هوانا بها كانت على الناس أهونا

فقامت النخوة فى حسن روائها وهى تجرر رداء كبريائها وتختال فى ثوب خيلائها وقالت نعم هذا رأى نافع فلا ينبغى أن يكون له ممانع وقد أصاب حب الجاه فى آرائه فلا ينبغى التعرض لمرائه فلما أكملت قولها وقعدت بين من حولها قام الغضب متنمرا وكام الحاضرين متهوّرا وصار يلحظهم شزرا وكأن عينيه تقدحان شررا وهو يقول يا قوم أين عزبت أحلامكم وغربت أفهامكم أما آن أن توافقوا على هذا الرأى السديد والتدبير المفيد أليس فيكم رجل رشيد أما فيكم من يهمه حفظ ناموسنا والعناية بوقاية شرف نفوسنا أهذا الرأى مما يتردّد فيه أو ينازع فى اجرائه نبيه أما فيكم من تحرّكه الحمية والعصبية وقد تهاونت بنا هذه الدولة الاجنبية فأخلت بمقامنا وأزرت على أحكامنا فلا بدّ من ايذانها بالحرب والبروز معها الى مواقف الطعن والضرب وتكليمها بلسان الصارم العضب

فان عصيتم مقالى اليوم فاعترفوا * أن سوف تلقون خزيا ظاهر العار

ومازال فى مثل هذه الاقوال وهو يقوم ويقعد ويقرب ويبعد ويبرق ويرعد ويصوّب ويصعد ويدعو لموافقة حب الجاه على الرأى الذى كان أبداه الى أن تحرك الحسد ووثب وثبة الاسد وقال يا قوم ماهذه الحيره وأين الحمية والحماس والغيره عليكم بهذا العدوّ فأنزلوا به النقمه واسلبوا عنه كل ماعنده من النعمه أما ترون ماله من المال وأسباب الزينة والجمال وموارد القوّه وأسباب اليسار والثروه يوشك والله أن يضاهينا ويجارينا فى الفخار ويباهينا وربما تشرف علينا ويسود فالنا لا ننظر اليه نظر الحسود ونثب عليه وثبة الاسود وتنزل به النوب السود فلما أنهى مقاله قام البخل يجر أسماله ويمسح سباله وقدّم مقدّمة من علم تدبير المنزل وقال يا قوم مالكم عن الحكمة بمعزل انكم اذا قبلتم هذا التدبير وعدلتم فى اجرائه عن طريق التبذير كثرت علينا موارد الغنى وبلغنا غايات المنى وهكذا كان كل يبدى أفهامه ويروج على الحاضرين أوهامه والملك يستمع استماع الاريب ولكنه ينظر اليهم نظر المستريب فنهض الخمود والخمول والجمود وتعرضوا لمعارضة هذه الجنود وقاموا بين الجلاس لكن فى أخريات الناس

وقالوا

وقالوا لقد تعدّى الغضب وقومه حدّا وجاؤا من ذلك الرأى شيأ إدّا مالنا وللنزال والنضال والتعرض للنبال والنصال فاحذر أيها الملك منهم وذرهم واعرض عنهم ولا تسمع آراءهم ولا تتبع أهواءهم فليس اتباع آرائهم من السنة ولا الفرض ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض

متى ترد الشفاء لكل غيظ * تكن مما يغيظك فى ازدياد
اذا لم تتسع أخلاق قوم * يضيق بها الفسيح من البلاد

ولم تأت هذه المملكة الاجنبية بما يغضبنا وان كانت أيضا لم تجئ فى الحقيقة بما يعجبنا وهب انها اهتضمتنا وأساءت الينا وظلمتنا فالاولى أن نصبر على أمرها ونطوى بها على غرّها ونتغافل عن شرها ولله در الذى يقول

ولقد أمر على اللئيم يسبنى * فمضيت ثمة قلت لا يعنينى

والذى يقول

ليس الغبى بسيد فى قومه * لكنّ سيد قومه المتغابى

فقام الجبن مبتعدا ووقف فى آخر الجميع مرتعدا وأنشد

أرى خلل الرماد وميض جمر * ويوشك أن يكون له ضرام
فان النار بالعودين تورى * وان الحرب أولها كلام

وقال ياقوم مالنا نتهافت على المهلكه بالتعرض لقتال هذه المملكه واتقاء الشر أحزم والبقاء على النفس احكم وليس للمرء رأس يدخره غير رأسه ولا نفس ينتفع بها بعد نفسه

ولو أن لى رأسين أدخر واحدا * وألقى المنايا بعد ذاك بواحد
لاقدمت فى الهيجاء اقدام باسل * ولم آلُ هيابا لوقع الشدائد
ولكن لى رأسا اذا ما فقدته * وفارقنى يوما فليس بعائد

وقال أبو دلامه

ولو كان لى نفسان كنت مقاتلا * باحداهما حتى تموت فأسلما

فتلاه الكسل متمهلا وتكلم قاعدا مضطجعا وقال ياقوم ليس للراحة قيمه وليس مثلها للعاقل غنيمه وليس فى تعب النفس نفع ولو كان مع الراحة كما قيل صفع عذبت قول القائل

دع الهوينا واكتسب وانتصب * واكدح فنفس المرء كدّاحه

وكن عن الراحة في معزل * فالصفع موجود مع الراحه

فقامت الاستكانة مع الخضوع وهما يذريان على الخدود سيل الدموع وقالا أرفق ما يكون اذا عز القرين أن نهون حتى نكفى أمره ونأمن شره ولله در أبي العتاهية حيث يقول

ساهل الناس اذا ما غضبوا * واذا عز أخوك فهن

وقال محمد الوراق

دار الصديق اذا استشاط تغضبا * فالغيظ يخرج كامن الاحقاد

ولربما كان التغضب باعثا * لمثالب الآباء والاجداد

وقال السموأل

رب شتم سمعته فتصاممـ * ـت وغي تركته فكفيت

(قال الناقل) ومازال كل من الحاضرين يبدي ما عنده ويبذل في استمالة القوم لموافقته جهده فيقوم ضده يعارضه فيسفه رأيه ويناقضه فقال الصبر من صبر ظفر ومن عجل خجل وأنشد

وعاقبة الصبر الجميل جميلة * وأحسن أخلاق الرجال التصبر

ثم أنشد

اصبر ولا تضجر من مطلب * فآفة الطالب أن يضجرا

أما ترى الحبل بتكراره * في الصخرة الصماء قد أثرا

ثم تلا في آخر الخطاب انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فقال ضده

لا يصبر الحر تحت ضيم * وانما يصبر الحمار

وأنشد

من حمد الصبر وحالاته * فلست بالحامد للصبر

كم جرعة للصبر جرعتها * أمر في الذوق من الصبر

وقال الحلم من ملك نفسه سالمته أعداؤه ومن عرف بالحلم كثرت أنصاره وأوداؤه

لا تحسبن الحلم منك مذلة * ان الحليم هو الاعز الامنع

وقد قيل من غرس الحلم شجرا جنى العز ثمرا وقيل من غرس شجر الحلم اجتنى ثمر السلم ويقال ضبط النفس حجاب من المخافة وحلم ساعة يرد تسعين آفة وكظم الغيظ من محاسن المكرمات ومن لم يحلم عن كلمة سمع كلمات ثم أنشد لابي فراس

بما كنت

ما كنت مذ كنت إلا طوع خلاني * ليست مؤاخذة الاخوان من شاني
يجني الخليل فأستحلي جنايته * حتى أدل على حلمي واحساني
يجني علي واحنو دائما أبدا * لا شيء أحسن من حان على جاني

فقال ضده من عرف بالحلم كثرت الجراءة عليه وامتدت أيدي الناس بالاساءة اليه وقد قال السفاح اذا كان العفو مفسده كان الحلم معجزه وأنشد لابي الطيب

كل حلم أتى بغير اقتدار * حجة لاجئ اليها اللئام

وقال غيره

اذا كان حلم المرء عون عدوه * عليه فان الجهل أغنى وأنفع

وقامت الشجاعة تقول

يا نفس ان لم تقتلي تموتي * ان تسلمي اليوم فلن تفوتي

ثم قالت قد جاء في الخبر ان الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية أو عقرب وأي فائدة في الجبن اذا لم يكن لنا من الموت مهرب

فقد تدرك الحادثات الجبان * ويسلم منها الشجاع البطل

وربما كان الجبن ذريعة الهلاك والاقدام سبب النجاه وقد قال أبو بكر رضي الله عنه احرص على الموت توهب لك الحياه

يرى الجبناء ان الجبن حزم * وتلك خديعة الطبع اللئيم

فقال ضدها ان الشجاعة تعرض للخطر وتوريط للنفس في الضرر وقولهم فر فلان أخزاه الله خير من قولهم مات رحمه الله قال محمد بن حمزة

باتت تشجعني هند وقد علمت * ان الشجاعة مقرون بها العطب
يا هند لا والذي حج الحجيج له * ما يشتهي الموت عندي من له أرب

وقالوا من جبن سلم ومن تهور ندم وقالوا السلم أزكى للمال وأبقى لانفس الرجال وأنشدوا

ماذا فيهما كالشجاع ولا خلا * عمرة كالعاجز المتواني

وقال الجود من جاد بالمال نال الآمال واستمال الرجال وسلمت نفسه من الاوجال والسخاء من السنه ومن أخلاق أهل الجنه ويقال سادة الناس في الدنيا الاسخياء وفي الآخرة الاتقياء وقالوا جود الرجل يحببه الى اضداده وبخله يبغضه الى أولاده وقالوا السخاء سخاآن سخاء نفس الرجل بما في يده وصونه بعرضه من ذم اللئام

وسخاوة بترك ما في أيدي الناس يغلق عنه باب الملام ومن جمعهما فقد وهب أشرف أخلاق الكرام وتواطأ على مدحه الخاص والعام

والبر أكرم ما وعته حقيبة * والشكر أفضل ما حوته يدان
واذا الكريم مضى وولى عمره * كفل الثناء له بعمر ثان

وقال أبو الطيب

وأحسن شيء في الورى وجه محسن * وأيمن كف فيهم كف منعم
وأشرفهم من كان أشرف همة * وأعظم إقداما على كل معظم
لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها * سرور محب أو إساءة مجرم

وقال طاهر بن الحسين

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة * فليس يذهبها التبذير والسرف
فان تولت فأحرى أن تجود بها * فالحمد منها اذا ما أدبرت خلف

فقال ضده من أضاع ماله احتاج اليه ومن رشى عدوه أعانه عليه وقالوا ابقاء المال للاقارب خير من الاحتياج للاجانب وقالوا يوشك من أنفق سرفا أن يموت أسفا وقالوا ما وقع تبذير في كثير الا هدمه ودمره ولا دخل تدبير في قليل الا كثره وأثمره وربما عوقب المبذر بالافلاس وصار مثلة بين الناس قال ابن المعتز

يارب جود جر فقر امرئ * فقام للناس مقام الذليل
فاشدد عرى مالك واستبقه * فالبخل خير من سؤال البخيل

وكان بعضهم اذا الدرهم وافاه خاطبه وناجاه وقبله وفداه وقال له بأبي انت كم أرض قطعت ونعامل رفعت وسرى وضعت ان لك عندي أن لا تعرى وانك لا تضحى ثم يلقيه في الصندوق و يقول اسكن في مكان لا تحول عنه ولا تخرج منه وكان للاعمش صديق من العمال عزل عن عمله وقد تأخر عليه مال للسلطان فحبس من أجله فقصده يسليه متوجعا لما هو فيه ودخل عليه وقد حضر وقت الغداء فرأى عنده لونا من الفالوذ فقال والله ما ازمت الوثاق الا بالاسراف في الانفاق فلو قنعت نفسك وعفت يدك لم يكن في مضيق السجن مقعدك وفي وصية بعضهم لولده وقد خاف عليه الدهر من بعده أي بني قول لا يدفع البلا وقول نعم يزيل النعم وسماع الغناء برسام حاد يدخل على الانسان بالفساد لانه اذا سمع شرب واذا شرب طرب واذا طرب وهب واذا وهب عطب واذا عطب

اعتل واذا اعتل جمعه اعتل واذا أفل جمعه مات واذا مات فات والدرهم محموم ان حركته مات والدينار محبوس ان أطلقته طار وقد قيل اليمين الغموس تذر الديار بلاقع وانما يفعل ذلك الاسراف في الواقع والاصدقاء هم الاعداء لانك ان احتجت اليهم منعوك واجتنبوك وان احتاجوا اليك ومنعتهم قرعوك وسبوك واذا لم يكن للنابد منهم فكن معهم كلاعب الشطرنج في سيره يحفظ ما معه ويجتهد في أخذ ما مع غيره وقالت الاستشاره المشورة لقاح الالباب ومفتاح النجح والصواب وقالوا من حق العاقل ان يضيف الى رأيه آراء العلماء ويجمع الى عقله عقول الحكماء وقال المشورة من عزم الامور وحزم التدبير ومهمات العاقلين وقال الله جل ذكره وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين وقال الشاعر

شاور سواك اذا نابتك نائبة * يوما وان كنت من أهل المشورات

فالعين تبصر منها ما نأى ودنا * ولا ترى نفسها الا بمرآة

فقال ضدها ان المشورة تردد في العزم ومفسدة في القطع والجزم وكيف تستخلص الآراء والناس ذوو أغراض وأهواء وقد قيل

وما كل ذي رأي بمؤتيك نصحه * ولا كل مؤت نصحه بلبيب

وقال التأني الاناة حصن السلامه والعجلة بذر الندامه (وقد قال بعض السلف) ينبغي للامير أن يتثبت في كل ما ينهى اليه ويتأنى ولا يعجل حتى يظهر سره ويقف عليه ويأخذ بأدب سليمان عليه السلام فيما حكاه الكتاب المبين حيث قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين وفي الخبر التأني من الرحمن والعجلة من الشيطان ومن أمثالهم من تأنى نال ما تمنى وقال بعض الحكماء اياك والعجلة فانها تكنى أم الندامة لان صاحبها يقول قبل أن يعلم ويجيب قبل أن يفهم ويعزم قبل أن يفكر ويقطع قبل ان يقدر ويحمد قبل أن يجرب ويذم قبل أن يخبر ولن تصحب هذه الصفة احدا الا صحب الندامه وجانب السلامه ويروى للنابغه

الرفق يمن والاناة سلامة * فتأن في أمر تلاق نجاحا

وللقطامي

قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

فقال ضده قد قال بعض ذوي الالباب اياكم والتأني فان الفرص تمر مر السحاب ومن مأثور الكلمات خير البر أعجله وللتأخير آفات وكم أمر أخرته عن وقته ففات وقد

قال الشاعر

وربما فات بعض القوم قصدهمو * مع التأني وكان الحزم لو عجلوا

وقال الآخر

عيب الاناة وان طابت عواقبها * أن لا خلود وان ليس الفتى حجرا

فقام العدل والاحتياط ووقفا في وسط البساط وأنشدا قول الشاعر

القصد أولى من بلوغ الغايه * وكل شئ فاله نهايه

وقول الآخر

الاقتصاد في الامور ملكه * والخرق شؤم وعنى ومهلكه

ثم قالا قد أفصح الحاضرون عن آرائهم على تباين أنحائهم وتخالف أغراضهم وأهوائهم ولا يخلو الناس من قاسط ومقسط ومفرط في الامور ومفرط ولكن لا يغيب عنك ان حب التناهي غلط وان خير الامور الوسط كما وردت به الاخبار ودل عليه النظر والاعتبار

فلا تغل في شئ من الامر واقتصد * كلا طرفي كل الامور ذميم

فالشجاعة مثلا افراطها طيش وتهور والتفريط فيها جبن وخور وكلاهما باتفاق العقلاء واجماع الفضلاء رذيله والتوسط بينهما هو الشجاعة المقبولة وهي الفضيله وهكذا الجود مثلا افراطه اسراف وتبذير والتفريط فيه شح وتقتير وكلاهما ذميم مقدوح والتوسط بينهما هو الجود الممدوح والشهوة مثلا افراطها شره وفجور وتفريطها خمود والتوسط بينهما بالعفة والاستقامة هو الفضيلة وهو المقصود والغضب افراطه حدة تقود لظلم الانام وتفريطه بلادة تؤدي الى الانظلام وكلاهما قبيح مذموم والتوسط هو الممدوح في جميع الاحكام فعلم من هذا المقال ان الفضيلة في جميع الاحوال مقصورة على مركز الوسط ونقطة الاعتدال والانحراف عن الوسط المذكور لاحد الطرفين نقص وضلال ووقوع في الوبال فهو الصراط المستقيم المسلوك للمهتدين غير المغضوب عليهم ولا الضالين وانما يكثر الوقوع في الغلط لمزيد الصعوبة في تعيين الوسط فهو في نفس الامر أرق من الشعر وهو جسر ممدود على متن جهنم الشر والخطر موصل للسلامه كما ان صراط الآخرة مضروب على متن جهنم السعير موصل لدار المقامه ومحل الكرامه والمرور على ذلك الصراط الاخروي لازم للمرور على هذا الصراط الدنيوي فمن وافق صراط الاعتدال في دنياه في جميع الاحوال

الاحوال وافق الحق وفاز بالمرام ومر على صراط الآخرة يوم القيامة كلمعة البرق الخاطف الى دار السلام ومن انحرف عن صراط الاعتدال ذات اليمين أو ذات الشمال وقع فى الدنيا فى نيران مساوى الاخلاق والاعمال وانحرف كذلك عن صراط الآخرة فوقع فى نار العذاب والنكال ومن تمسك بهذا الصراط صراط الاعتدال المذكور مع التقصير بالانحراف عنه والعود اليه فى بعض الامور فسه فى دنياه بعض سوء الاعمال وكان عقباه حسن المآل فهو كذلك بهذه الحاله عند سلوك صراط الآخرة لاعماله فلا يزال يسقط ويرتفع ويقوم ويقع حتى يصل دار الثواب وينتهى لحسن المآب ولذا قال بعض الاولياء ان المرور على الصراط فى الحقيقة انما هو فى هذه الدنيا الحاضره وذلك لما علم من انه على حسبه يكون المرور يوم القيامة على صراط الآخره فالسعيد السعيد من راعى الاعتدال فى جميع الاقوال والافعال والاحوال ثم الاعتدال فى كل زمان أو مكان بحسب حاله وبالنسبة لكل انسان على حسب ما ينبغى له ولامثاله فرب أمر ممدوح فى زمان دون زمان أو مذموم فى مكان دون مكان أو ممدوح بالنسبة لانسان ومذموم بالنسبة لانسان وقد ورد عن قوم من الصحابة انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الاعمال فقال لبعضهم الصلاة ولبعضهم الحج ولبعضهم الجهاد بحسب اختلاف الاحوال وقد أنشد احد الصحابة الكرام بين يدى النبى عليه الصلاة والسلام

ولا خير فى حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمى صفوه ان يكدرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما أورد الامر أصدرا

فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعره وقال له لا يفضض الله فاك فلم تسقط أسنانه طول عمره وقال صالح بن جناح اللخمى

لئن كنت محتاجا الى الحلم اننى * الى الجهل فى بعض الاحايين أحوج
ولى فرس للحلم بالحلم ملجم * ولى فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن رام تقويمى فانى مقوم * ومن رام تعويجى فانى معوج
وما كنت أرضى الجهل خلا ولا اخا * ولكننى أرضى به حين أحرج
فان قال بعض الناس فيه سماجة * فقد صدقوا والذل بالحر أسمج

وقال ابراهيم بن المهدى

اذا كنت بين الحلم والجهل واقفا * وخيرت أنى شئت فالحلم أفضل

ولكن اذا أنصفت من ليس منصفا * ولم يرض منك الحلم فالجهل أمثل
اذا جاءني من يطلب الجهل عامدا * فاني سأعطيه الذي جاء يسأل
ولم أعطه اياه إلا لانه * وان كان مكروها الى الذل أجمل

وقال أبو الطيب

اذا أنت اكرمت الكريم ملكته * وان أنت اكرمت اللئيم تمردا
فوضع الندا في موضع السيف بالعلا * مضر كوضع السيف في موضع الندا

ثم قال اذا تقرر ماذكرناه وعلم ماقررناه فقتضى الاعتدال في أمر الاجنبي الذي بلغنا عنه ماسمعناه أن ننظر فيما نقل عنه ونتأمل لفظه ومعناه ونعامله بما يقتضيه من سلم وقتال وجلاد وجدال على حسب الامر ان خيرا فخير وان شرا فشر وهكذا ينبغي أن يكون حال السامع غيره فنسير مع كل أحد من الناس بحسب سيره فلا نسيء الا من أساء ولا نجازي الا حق الجزاء ولقد تأملت فيما نقل عن هذا الاجنبي الينا فلم أجد فيه ما يؤخذ منه التهاون بنا أو التطاول علينا فلا ينبغي عليه لئلا نكون من الآثمين ولا نظلمه بغير جرم فان الله لا يحب الظالمين ثم تلا قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين) فنهض الانصاف ورفع الخلاف وصدق كل ماقاله العدل واتى من بديع البيان بالقول الفصل وقامت أيضا الاستقامة فصدقت وتلتها الحقانية فأثبتت الامر وحققت الا أن الملك لم يزل مترددا في أمره شاكا في خير الامر وشره فكان يقدم رجلا ويؤخر أخرى ولا يدري أي الامرين أحرى فقالت البصيرة الآن لم يبق للتردد مكان وقد وضح الصبح لمن له عينان وقد تميز الحالي من العاطل وجاء الحق وزهق الباطل وقد تحققت بحمد الله الحقائق بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق فدع الترداد وعلى الله الاعتماد

اذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة * ولا تك بالترداد للرأي مفسدا

ولا يجوز اتباع ما أبدته الاغراض النفسية من آرائها المدخوله مع وجود ما أبدته الحقانية والاستقامة من الصورة المقبوله والادلة المعقوله أما علمت أن متابعة الفجار ومطاوعة الاشرار مشاركة لهم في الشرور وتباعد عن منازل السرور ثم صارت تبرز من القوانين الساطعه والبراهين القاطعه ما أبطلت به تلك الآراء السقيمه ونهت الملك عن العود الى موافقة تلك الاهواء العقيمه فهديته أحسن

المسالك

المسالك وانتهى الامر على ذلك (قال الحاكى) ثم اقبل شيخ وقور يلوح على أساريره وجهه النور ويظهر عليه الهيبة والنخوه وتسايره الاستقامة وتتقدمه الشهوه اسمه التأهل والازدواج وأمره كثير الرواج فدخلت به الشهوة على الملك جهرا وأهدته على يديه فاكهة وزهرا فالتفت الملك الى البصيرة ليستشيرها ويستخرج فى أمر هذه الحادثة ضميرها فلما رأت مع الشهوة التأهل والاستقامه قالت هذه علامة الخير والكرامه وهذا مما تريده ولا تأباه فاذا عزمت فتوكل على الله فعطف الملك نحو الشهوة زمامه وقبل ما وضعته من الزهر والفاكهة أمامه ثم خرجت من بين يديه ورجعت بعد برهة اليه يكتنفها السكر وأضرابه والنكر واترابه والافعال الرديئه والاحوال الدنيئه وبينهم كتم الاسرار بعضهم على اليمين والبعض على اليسار فتقدمت بهم أمام السلطان وقامت بينهم مقام الشيطان ومعها شئ كالعلبة المقفلة تبديه وتقدمه الى حضرة العقل الحاكم وتهديه وكتم السر يشير له بوضع أصبعه على فيه بأنه يحفظ هذا الامر ويخفيه فلا يظهر ما فيه فمال الملك لقبول هذه العلبة المهداة اليه لولا نهضت العفة فتمثلت بين يديه واختطفت تلك العلبة من الشهوه وضربت بها الارض مع شدة ونخوه فلما رآها الحياء احمر لونه خجلا وستر وجهه بفضل كمه محلا وتأوه متضررا وصاح متضجرا والعقل غير مقلع عن الميل للهدية المذكوره مطمئن بما أشار اليه كتم السر من عدم ظهور هذه الصوره حتى انه أراد أن يرفعها عن الارض اليه فلم تمهله البصيرة ان قامت وأقبلت عليه ثم قالت ما هذا التسرع الى الشر والتهالك على هذا الامر ألم تعظك مرارا النفس اللوامه ألم تعلم ان عاقبة هذه الامور الندامه ألم تدر انه لابد للزمان من ابدائها وان بذلت غاية الجهد فى إخفائها

ومهما يكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

ألا تذكر أن عقباها فى هذه الدنيا العار وعقابها فى الآخرة عند الله النار ألم تسمع قول من قال

كذلك الحب لا اتيان معصية * لاخير فى لذة من بعدها سقر

أما تستحى من الله من ركوب هذه الآثام أما فى طيب الحلال غنية عن خبث الحرام ثم مازالت به حتى رجع عن قصده وأخرج الشهوة المحفوفة بأولئك القوم من عنده (قال الخيال) فلما رأيت هذه الامور داخلنى الفرح والسرور وذلك لكثرة انتصار

البصرة على أعدائها ونصرتها الجماعة أصدقائها وأودائها ومجانبة الحاكم لرائها وانجذابه الى موافقة آرائها ثم انى التفت للدليل الفراسة مكاما وقلت له مستفهما ومتعلما قد كنت أيها السيد النبيل والمرشد الى سواء السبيل ذكرت ان ادارة هذه الحكومة أمر عسير وأنا أرى الآن ان كل أمرها يسير فجميع الاحوال هاهنا مستقيمه والادارة بحمد الله غير سقيمه نعم أرى هذه الاغراض والشهوات لا تنفك عن تلبيسها واستجلابها الملك الى مرائق الشرور وسفاسف الامور بسوء تدليسها ولكنه لا يخاف عليه من شرها ومكرها لكثرة مالديه من الوسائل والوسائط لدفع ضرها ونكرها فهاهو الحياء والعدل لديه والعفة والاستقامة بين يديه وكل يخصه بالنصح محضا ويرى ارشاده الى النجح فرضا وناهيك بالبصيرة من ناصحة ومشيره تهديه صائب آرائها وتهديه محسن اجرائها فهل يعقل مع ذلك أن يتطرق اليه مكايد الاغراض ودسائسها أو يروج لديه مفاسد الشهوات ووساوسها ومادام حال هذه المملكة جاريا على ذلك الاسلوب فهل يمكن أن تتعسر ادارة أمورها على الوجه المطلوب قال أراك لم تزل تنظر الى ظواهر الاحوال وتقضى فى كل ما رأيته بموجب الظن والاحتمال ثم أشار الى جهة قاصيه وقال انظر لتلك المشؤمة الناصيه الآتية لهذه الناحيه أعاذنا الله من شرها وأجارنا من نفثات سحرها فانها فاجرة ساحره غادرة ماكره تسحر عيون هؤلاء الاعيان سريعا وتستغفل بقوة مكرها الناس جميعا وهمها اختلال الامور فى هذه المملكه وايقاع من بها من الخلق فى كل مهلكه وهى قادرة على هذه المفاسد لكثرة مالها من ذرائع المكايد فان دخلت مرة فى هذه المجالس الشريفه غيرت كل ماتراه من أحوالنا اللطيفه فيختل هذا النظام ويعتل حال الانام ويتبدل الخير بالشر والنفع بالضر والحالى بالعاطل والحق بالباطل فقلت سبحان الله ماذا عسى يبلغ سحر هذه الفاجرة وهل للسحر وقع فى مثل هذه الحاضرة الفاخره قال نعم له تأثير كبير ولا ينبئك مثل خبير عندنا ساحر وساحره يترددان على هذه الحاضره أما الاول ويسمى الامل فمنفعته لا تنكر ومزاياه فى هذه المملكة أكثر من ان تذكر فانه يحث كل أحد على الاجتهاد بما يعده ويمنيه من بلوغ المراد وقد يخالف الغنى ويخالف الاستقامة فى بعض الامر ويموه على الناس بقوة مالديه من صنائع السحر ولكنا نطويه على غره ولا نعارضه فى كل أمره بل نعينه فى أحواله بترويج بعض أقواله اذ لولا وجود هذا الامل وماله فى عقول الانام من العمل انظروا الى ان هذه الدنيا باطله وحينئذ تصبح أمورها عاطله

عاطله فلاترى فيها من العمارة والانتظام ماترى وقد ورد لولا الامل ما أرضعت أم ولدا ولا غرس غارس شجرا نعم فى الناس من يعرض عن هذه الدنيا بعلة فنائها ويرجح الموت على الحياة فيما بين أبنائها فهو لا ينظر الى الامل ولا يعول على العمل ولكن هذا القبيل نادر قليل وأكثر الناس قائلون بالاعمال مائلون الى بضائع الآمال حتى ان الحقيقة فى كثير من الامور قد تستعين بالامل المذكور وأما تلك الساحرة فاسمها الغفلة ودأبها الشر فى التفصيل والجملة وقد عمت هذا العالم بكيدها وصيرت كل بنى آدم فى قيدها فادخل فى هذه الدنيا أحد وان جل الا كان لها عليه تسلط وان قل الا ان حفظه الله بالعصمة واستخلصه من هذه الوصمة ومن عجائب سحرها وغرائب سحرها انها تدخل كل مكان ولا يراها أحد يكون من كان حتى انها تستولى على الرجل قسرا وتتملكه اقتناصا وأسرا وتحكم على بصره وبصيرته وتتحكم فى ظاهره وسريرته فلا يرى الا ماتريه ولا يجرى الا حيث تجريه ولا يتقلب الا فى يديها ولا ينصرف عنها الا اليها وهو مع ذلك لا يراها ولا يشعر بأمرها ولا يحس بأنه فى حوزة ملكها وقبضة قهرها حتى لو نسبه ناسب اليها أو دله أحد مرة عليها لتبرأ منها ونزه نفسه عنها وزعم أنها لا سبيل لها عليه وانها لم تصل فى مدة عمره اليه وهذه الساحرة من أعظم الاضداد للحقيقة الاصلية وأكبر الاعداء لى وللاستقامة العقلية وكثيرا ما تتشكل بصورة الاستقامة المذكوره وتتحيل على ترويج زورها على الناس بهذه الصوره وتدخل فيما لا يحصر من الهيئات والصور وكذلك تصور كل شئ بغير صورته وتخيل بقوة السحر انه على أصل هيئته فتجلو الحق فى صورة الباطل والباطل فى صورة الحق وتبدى الصدق فى هيئة الكذب والكذب فى هيئة الصدق فلا يتميز الاصل من الفرع ولا البدعة من سنة الشرع وهكذا تضل بسحرها القلوب وتخرج العقول عن نهج الاستقامة المطلوب حتى انها فى بعض الاحيان تستغفل البصيرة مع قوة ادراكها وتستدرجها بقوة السحر حتى تقع فى حبائل اشراكها لكنى بما جعل لى الله سبحانه من الفطرة الملكية وما آتانى بقدرته من شدة القوة الادراكية لا يروج لدى زورها ولا تلتبس على أمورها فأنا أعرفها حق معرفتها على تغير شكلها واختلاف صفتها وأفضحها دائما على رؤس الاشهاد وأريد أن لا يقع فى شرك شرها العباد ولكن ما كل مرة تسلم الجره فانها قد يغلب باطلها على حق ويرجح الناس كذبها على صدق وأنا أناديهم

فلا يسمعون وأناجيهم بالحقيقة فلا يعون وأنبههم فيغفلون وأفقههم فلا يعقلون وها أنا باقى من القوة الملكية اريكها برأى العين لتبصر ما طامع الخلق من وساوس المكر ودسائس المين فها هى تتهيأ لامر جسيم وتتجهز لايقاع سحر عظيم تعدله الحبال والعصى لتسحر الدانى به والقصى قال فبقيت متحيرا من عبارته ثم نظرت الى موضع اشارته فاذا ساحرة شريره خبيثة قصيره على وجهها نقاب المكر وفى يدها عصا السحر تقذفها الى جو السماء ثم تتلقفها من الهواء وهى تتلون تلون الحرباء وتتلاعب بجميع الاشياء وعليها ثياب غريبة الاشكال فيها من كل شكل ولون مثال ورأيتها تتباهى بزينتها ووشيها وعليها جلاجل كثيرة تصطخب عند مشيها ولكن حجبت دونها المسامع والابصار فلم يكن يشعر بها أحد من الحضار والحاصل ان هذه الساحرة جاءت فدخلت بين من حضر وجعلت تمس بعصاها السحرية كل من أدركت بالنظر فصارت صور القوم عند ذلك تتغير وهيآتهم تتبدل لقوة سحرها وتنكر ورأيت الاشياء تنقلب الى صور أضدادها وغيرها حتى التبس ضرها بنفعها وزورها بحقها وشرها بخيرها فصار حب الجاه فى صورة علو الهمم وصار السرف والتبذير فى صورة الجود والكرم وصار الشح والتقتير فى صورة حسن التدبير وصار الفسق والفجور فى صورة الانس والحبور وصار الخداع والنفاق فى صورة المداراة والوفاق وصار الظلم فى صورة العدل وكذلك الفضول فى صورة الفضل والرياء فى صورة الصلاح والخسران فى صورة الفلاح وهكذا الى غير ذلك بحيث لم يبق أحد فى حالته الاوليه واغتر الخلق بهذه الصور المبدلة واشتبهت بالصور الاصليه وحق ذلك التبديل والتغيير فتنة فى الارض وفساد كبير فاجتمع الهوى مع الاغراض الدنيئه والشهوة والخصال الرديئه وجاءت قضها بقضيضها من اوج المملكة وحضيضها وحشدوا عند العقل الحاكم وهم فى هيآت الفضائل والمكارم وصار كل يعضده ويحميه ويغريه بالاخير فيه فكانوا يسوقونه للفاسد فى صورة الصحيح ويشوقونه للقبيح مستورا بشعار المليح وما منهم الا من يجريه الى جهته ويدلى اليه بشبهته واللغط بينهم مرتفع والمتكلم اكثر من المستمع حتى صارت أصوات العدل والحقانية والاستقامه لا تسمع بحضرة العقل الحاكم فى أثناء تلك القيامه لاسيما وقد غلب الشر والباطل والنقص على الخير والحق والكمال وأبعدوا هؤلاء المغلوبين من حضرة الملك العقل فى الحال وكانت البصيرة رأت اماءها الباطله فظننت أنها

الراحة

الراحة في تلك الحالة فاستدنتها وضمتها اليها ونامت معها كأنما أغمي عليها فلم يبق في ديوان العقل من يرشده الى الحق من أهل الفضل غير أن أولئك المغلوبين كانوا ينادونه بالنصح من بعيد ويقولون لا تغتر بهذه الاحوال الباطلة أيها الملك السعيد فصار متردداً بين موافقة الاغراض ومخالفتها متحيرا في انكار هذه الاصوات البعيدة ومعرفتها ومازال على هذه الحال حتى قويت الاغراض المذكورة فجذبت قلبه اليها ولم يبق الا أن يطيعها بالفعل ويعول عليها فعند ذلك ظهرت آفة الملوك القاطعة لهم عن مناهج البر وحسن السلوك تدير عليهم كؤس الغرور وتجرهم الى أنواع الشرور فتوقعهم في المعاطب وسوء العواقب فتهلكهم وهم لا يدرون وتهلكهم وهم لا يشعرون ألا وهي الملعونة الكاهنة المعروفة باسم المداهنة فجاءت وفي يدها مجمرة ملأت رائحتها الرؤس وفعلت بكل ما نالته رائحتها ما لا تفعل الكؤس فدخلت تنشر روائحها وتزخرف للناس قبائحها وهي تتكلم بالفصاحة التامه وتحاكي في كلامها صوت الافكار العامه وتحدث كل أحد بما يحبه وتثني عليه بما يطربه فدخلت مثل الشيطان في مجلس العقل السلطان وهي تقول أيها الملك القادر والسلطان القاهر باعدتك الاكدار وساعدتك الاقدار ولا زال يسعدك البخت ويسعد بك التاج والتخت أراك بحمد الله قد صفا لك الملك وحاق بجميع أعدائك الهلك فليس لملكك زوال ولا لك في الخليقة امثال وقد نلت من كل امل أسناه وعملت من كل عمل أسماه ولم يبق الا ذخائر اللذات تقتنيها وأخائر الشهوات تجتنيها وأراك قد ملت لذلك ولا ضير ومازال في رأيك الخيرة والخير فالامر مأمون وحسن العاقبة مضمون وما أصدق ما قيل ان الحكام ملهمون وقد اجتمع هؤلاء الاكارم أرباب الفضائل والمكارم وما فيهم الا نصوح شفيق أكثر حبا لك من الوالد والشقيق وكلهم بذلك بشير والطالع بسعدك بشير فوافق اشارة الجمهور ولا تؤخر فرص السرور

واجسر على فرص اللذات محتقرا * عظيم ذنبك ان الله غافره

ومازالت تمق له المقال وتخيل له الهدى في الضلال حتى انقاد للشهوات يعمل برضاها ويسمع آراءها فيحكم على مقتضاها فصار في الحقيقة أسيرها وقد كان قبل ذلك أميرها وهكذا تفعل المداهنة مع من يقبلها من السلاطين وكذلك قرناء السوء الشياطين وعند ذلك اشتد اشتعال نار الاختلال وانتشر شرر الشر في جميع الممالك

فضعف أمر تلك الدولة وانحل واعتل جسم المملكة واختل حتى أشرفت على التلف كلها وكاد أن يمحى من هذا العالم أصلها (قال الخيال) ولم يكن من دليلي الفراسة في خلال هذه الاحوال غير التأسف على ما صارت المملكة اليه من الوبال وسوء المآل وكأنما قطع من فلاحها الآمال وأزمع التغافل والاهمال قال فأخذتني الحمية والغيره وقلت له بالله ما هذه الحيره ولم تمسكت على هذا اليأس وأي ثمرة تؤمل في اليأس فقم بنا على أقدام الاقدام ولنشمر عن ساعد الاهتمام حتى ننعش هذه الامه ونزيح عنها بعون الله الغمه ففي الوقت بقية امكان وعلى الله تعالى التكلان وهذه البصيرة قد استيقظت من منام غفلتها ووقفت على حقائق الامور تفصيلها وجملتها وهي ملتفتة الينا وها هي قادمة علينا فقال انما كنت أترقب هذه الفرصه للاشتغال باساغة هذه الغصه (قال الخيال) ثم انا لقينا البصيرة فحادثناها في ذلك الشان ومضينا ثلاثتنا على الفور الى حضرة العقل السلطان وأبدت الهمة حقيقة الحال في مرآتها وعرفته ما فعلته الغفلة من تبديل صور الجماعة وهيآتها ثم أرسلت البصيرة فأحضرت الندامه واستحضرت معها أيضا النفس اللوامه فأدبت بواسطتهما الحاكم المشار اليه وأعادته ثانيا الى ما كان قبل ذلك عليه وغلبت البصيرة على الغفلة فهزمتها وأزاحت عن الات سحرها الموجودة وحطمتها وزال الاختلال والفساد من كل مكان وعاد كل شئ لاصل صورته الحقيقية كما كان (قال الخيال) فلما أبصرت ما صار من هذا الظفر والانتصار تخيلت ان الظفر المذكور انما هو ثمرات سعي المشكور فداخلني ما لم أحصه من السرور ومثله من الخيلاء والغرور فتركت الدليل ظهريا وصيرته نسيا منسيا وصرت أمشي وحدي مليا حتى عن لي القعود على تخت الاستقامة العقليه فثبت اليه وصعدت مع كمال التمكين والوقار فاستويت عليه فضحكت الهمة علي وأشارت من بعيد الي ان أخطأت وأخطأتك الكرامه هذا تخت البلاهة لا تخت الاستقامه فضحك علي من في المجلس مقهقها وقمت عن التخت فوقفت متدهدها واعتراني من الخجل والحياء بقدر ما كان عندي من الغرور والخيلاء وصرت أجر رجلي والخلق يضحكون علي وتبعتني النفس اللوامة على القدم وصارت تضربني ببساط الندم حتى ندمت ورجعت واعتذرت بقدر ما استطعت فصحوت من حيث أتيت ووقفت على كل ما رأيت وأردت أن يبقى تبصرة للانام فكتبت ما رأيته بالتمام

*(يقول محرر روضة المدارس على فهمى رفاعه)*

بعون الله المنعم المجيد تم هذه الرسالة عقدها الفريد وتمت طبعتها الثانوى فكانت مفردة مثناه وأتت ببهجتها الثانى لرب الفضل ومولاه حضرة عبد الله فكرى بك وكيل عموم المكاتب الاهليه حيث هو الذى أبدع فى تحريرها بهمته العليه ولما تم طبعها بحليتة البهاه وشارفت الانتهاء أرختها بتاريخ يقدم المقدره ومع الاعسار لم يقل فقارة الى ميسرة وهو

يا للعلوم لقد ظهر أراه معنا * فى حسنه المثلى قد راق نكته
أحببت وهو لفكرى أن أؤرخه * درة المعارف أعلاه بمملكته

٣٣٧ ١٠٧ ٤٢٢ ٤٢٤
سنة ١٢٩٠

تم طبعه بمطبعة المدارس الملكيه افتتاح سنة ١٢٩٠ هجريه على
صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية
آمين